

مئة شاعر أفريقي يفتحون لقراءهم العوالم الساحرة للقارة

أنطولوجيا عربية للشعر الأفريقي تحتفي بقصائد خارجة عن المألوف



ملاحم من أفريقيا يصورها الشعراء

بينما هي في الواقع تخط مسارات جديدة في أرض القصيدة الأفريقية الحديثة سواء على مستوى تحرير اللغة وتنوع الإيقاعات أو قوة الرمز واستثمار الأسطورة.

القصائد المكثفة القادمة من جنوب الصحراء الكبرى والتي تتميز بطابعها الشفهي والعميق لأنها تتعدى وتتكئ أساساً على تقاليد الشعراء الجوالين وترث الأسلاف الشعري والغنائي.

تقتصر على أسماء الشعراء الكبار في القارة، أو الذين يحظون بصدى مستحق منذ سنين، وإنما حاولت قدر الإمكان أن تنفتح على مختلف أنماط الإنتاج الشعري وعلى رأسها تلك

سنعرض "أنطولوجيا الشعر الزنجي والملغاشي الجديد باللغة الفرنسية" في عام 1948، والتي كتب جان بول سارتر مقدمتها الشهيرة بعنوان "أورفيوس الأسود"، كان العالم يحتفل بالذكرى المئوية لثورة سابقة، الإلغاء النهائي للعبودية بموجب المرسوم الصادر في 27 أبريل 1848 الذي استعاد كرامة الرجل الأسود وجعلها تدخل حلبة جديدة.

لكن سرعان ما تلاشت هذه الأحلام والأمال العريضة لأن القارة السمراء لم تعرف حتى ما بعد منتصف القرن العشرين انسحاباً نهائياً لهيمنة الرجل الأبيض على شعوبها وفرواتها إلا بعد نضالات طويلة وتضحيات جسيمة. هكذا صار الاستعمار بديلاً عن العبودية، بل أسوأ منها في أغلب الأوقات، وهو ما شكل نسوية مؤلمة في التاريخ ما زلنا نشهدها على أثارها المدمرة إلى اليوم.

شعريات مختلفة

بلغت مبارك إلى أن هذه الأنطولوجيا الشعرية الجديدة لا تطمح إلى تقديم صورة شاملة وجامعة للشعر الأفريقي المعاصر لأنها في الواقع لا تغطي مجموع القارة الأفريقية كاملة.

ويقول "تعمدت إغفال جهات محددة مثل الواجهة المتوسطية أو منطقة شمال أفريقيا باعتبارها امتداداً للعالم العربي، وإنما تسعى فقط إلى إعادة اكتشاف حيوية هذه الشعير المجهول بالنسبة إلى كثيرين رغم أنه ينتمي إلينا وينتمي إليه فوق هذه الأرض المشتركة".

ويتابع "يضاف إلى ذلك أن هذا الشعر المتفرد لم يصلنا منه إلا القليل في العالم العربي حتى الآن، وهو في معظمه لا يزال مدفوناً ونسياً في لغاتة الأصلية، بل ويتم تجاهله باستمرار بشكل غريب وغير مبرر، سواء من طرف المشتغلين بالحقول الأكاديمية والنقدية أو من طرف المترجمين ودور النشر العربية".

ويوضح مبارك أن المختارات الموسعة "تضم مئة شاعر وشاعرة ينتمون إلى أربعين دولة إفريقية" ولم

على الرغم من أهميتها الحضارية لم تحض أفريقيا بالاهتمام البحثي الكافي لرصد فنونها وأدبها ومختلف منتجات حضاراتها المتعاقبة. الحركية التاريخية هذه استفاد منها الشعراء الأفارقة بشكل كبير، لكن أغلبهم بقي حبيس لغته الأصلية أو محلية، حيث من النادر أن يتناول الشعر الأفريقي بالرصد أو التحليل رغم أهميته البالغة.

فقد كانت مسرحاً لصراعات وتحولات وماس كبير على مر القرون، لكنها اليوم تسعى لتجاوز شروط تأخرها الحضاري وتطلع نحو المستقبل بتفاؤل وطموح ودينامية جديدة.

ويضيف "إذا قمنا مثلاً برسم ثلاث خرائط لأفريقيا تفصل بينها آلاف السنين سوف ندرك عمق الحركية الهائلة التي طبعت دائما هذه القارة رغم أن التضاريس القائمة بما فيها الصحراء وجبل كليمنجارو أو الصدع الكبير ظلت ثابتة على المستوى البشري، وهذا الغنى انعكس طبعاً على الإبداع الأدبي الأفريقي وعلى الشعر بشكل خاص. لكن في مقابل هذه الحركية المستمرة منذ قرون فإن ما يستدعي الانتباه اليوم هو تلك الفروق الدقيقة بين منطقة وأخرى، حيث يمكن الحديث عن أفريقيات داخل هذه القارة الغنية والفسحة.

ويوضح مبارك "أولا تبرز هذه الفروق من الناحية الجغرافية، خصوصا إذا نحاشينا النظر إلى المزالق الكولونيالية التي فرضت بشكل متعسف واعتباطي حدود الدول الجديدة على خارطة القارة، حيث يمكن الانتقال بسهولة من دولة إلى أخرى، بل من مكان جغرافي موحد ومنسجم إلى مكان جغرافي آخر مختلف عنه تماما. وهو ما يلاحظه القارئ عبر الأنطولوجيا التي انحازت لهذا النوع من التقسيم الطبيعي والحضاري، ثم هناك ثانيا التنوع الكبير في اللغات المتداولة في هذه المناطق، إذ رغم استمرارية هيمنة لغات المستعمر على الأدب الأفريقي، فهذا لم يمنع بعضاً من شعراء القارة من التعبير بلغاتهم المحلية الخاصة النابعة من تراث بلدانهم الأصلية".

ويشير إلى أنه عندما نشر الشاعر السينغالي الكبير ليوبولد سيدار



المختارات التي تتضمن قصائد لمئة شاعر من أربعين دولة أفريقية جاءت كاشفة لجمالية وفنية القصيدة، ومؤكدة على التمايز والخصوصية التي تتمتع بها كل دولة على حدة على الرغم من تشابهها جميعاً في مواكبة شعرائها للتجربة الشعرية الإنسانية التي تعلى من حضور قضايا الهم الإنساني والهم الذاتي.

حضارات متحركة

يؤكد مبارك في تقديمه للمختارات الصادرة عن دار للال وخطوط بعنوان "همس الأسلاف.. أنطولوجيا الشعر الأفريقي المعاصر" أن أفريقيا والقارة الأفريقية لا تقدم نفسها في صورة حضارة واحدة منسجمة، وإنما عبر فسيفاة من الحضارات تختلط فيها الأعراق والإثنيات واللغات والثقافات والأديان والفنون والعادات، وهي تختلف بشكل كبير من حقبة إلى أخرى. ولأنها قارة ضاربة جذورها في التاريخ باعتبارها مهد الإنسانية الأول

كتاب تونسي
يزعزع مسلمات
الفكر العربي الإسلامي

بين الإسلام والعقائد الأخرى، باحثاً في تفاصيل قيم مغرب الغد والسلم والتربية والجدل الإسلامي.

المجتمعات الإسلامية
تتراوح بين الوعي المطمئن
والروح النقدية المسكونة
بهاجس الأشكلة لاقتحام
البوابات المعرفية الجديدة

صفوة القول يدعو المفكر الشرفي في مؤلفه إلى خخلعة الأحكام القطعية مسلماً بحتمية الجراة، بل المغامرة التي أجمل المقاربة المغايرة، فالنذات النبوية بالنسبة إليه هي تلك التي تجرؤ على القطعية مع سلطة الماضي، وتستوعب رسائل التقدم العلمي المنهل المحتمة لإعادة النظر في مسلمتنا. عموماً تمثل هذه الترجمة منجزاً معرفياً لأنها تمكن قراء الضاد من الاطلاع على منارة من منارات قطب من أقطاب الفكر التحديفي الذي وهب مسيرة بحثه للدعوة إلى خخلعة الوعي الديمغرافي وزعزع الطمانينة الكسولة عبر أعمال غزيرة مثل الإسلام والحداثة ومرجعيات الإسلام السياسي.



تونس - صدر مؤخراً كتاب للمفكر التونسي عبدالمجيد الشرفي بعنوان "الفكر الإسلامي: القطعية والوفاء"، والذي صدر سنة 2008 باللغة الفرنسية وعزبته نعيمة كشطان.

يحتوي المؤلف الصادر عن دار الجنوب للنشر على مقاربات نظرية حول إشكالات الوعي التوقفي والتحالفات الجهنمية في عالم السلطة بما هي قضية سائدة خاصة في ظل سياقات ثقافية وقيمية محددة، كما يتناول قضايا العلمنة في المجتمعات العربية الإسلامية والتأويل في حقول دلالية مختلفة تتراوح بين الوعي المطمئن والروح النقدية المسكونة بهاجس الأشكلة من أجل اقتحام البوابات المعرفية الجديدة.

ويهتم المفكر الشرفي في مؤلفه بقضايا تربوية وحقوقية تقتضيها المواطنة، تلك التي لا تزدهر في نظره إلا في "إطار دولة القانون بالفعل" ولا يمكن إرساء ذلك إن لم تتربخ قيم مواطنة في الأذهان قبل أن تسن في الدساتير وترند في الشعارات ونسوق في المنابر ويتاجر بها في الحملات الانتخابية. ويتطرق الكتاب إلى مسارات السلطة السياسية والسلطة الدينية في تاريخ الإسلام، مقارناً

رواية فلسطينية تستنطق ما في رأس أرييل شارون

متساوون، إنه شكل من أشكال المقاومة. وطريقة إعادة اختراع التاريخ، وجعله أقل عنفا وأكثر مساواة (...). لأدب مهمة أخرى غير إطلاق الأكام".

في ما يشبه المغامرة أحببت الكتابة أن تدخل إلى رأس شارون فيما هو في غيبوبته، وتستجلي تفكيره طوال ثمانين سنواً أمضاهها في تلك الحالة، والعنوان الذي اختارته ليس للتعاطف، بل للقيام برحلة داخل ضمير الزعيم الإسرائيلي الراحل. واختار الروائية أن تحكي روايتها عن شارون على لسان أربع نساء هن والدته وزوجته الأولى وزوجته الثانية والمرضة التي كانت تقرا له القصص وترعاه صحياً عندما كان في حالة الغيبوبة.

وبما أنه يستحيل عليها كلفلسطينية أن تتحدث إليه، وضعت الكتابة مسافة بينها وبين شخصيته ولم تكن وجهاً لوجه معه في روايتها كما تقول.

ويذكر أن رواية "أنا أرييل شارون" صدرت منذ أيام عن منشورات المتوسط - إيطاليا، وقد ترجمتها عن الفرنسية المترجم السوري عصام الشحادات بعد الحصول على دعم الترجمة من المعهد الكندي للفنون.

وتخاطب الكتابة في الرواية الشخصية الحقيقية قائلة "أهدأ، أهدأ، أهدأ، إنها الحقيقة، والحقيقة لا تززع أحداً. والحقيقة حيادية. أنت تفقد حواسك وملكاتك، حتى القدرة على تسمية الأشياء، هويتك وعمرك ووجهك. لا تقلق. أنا كل ما لم تعد. أنا ما تحبه وما تكرهه، أنا أكلامك وهو أجسك وندمك. أنا أسمع الكلمات والشكوك والخاوف".

أهوالها وإنسانيتها في أضعف اللحظات. بين هدوء ظاهري للمستشفى وما يقابله في مكان ما من التاريخ من صخب حرب لا تتوقف انفجاراتها عن الحدوث، تضع الكتابة بدورها القارئ في عين العاصفة وهو يقف على حقيقة أن وراء كل إنسان، سواء كان بطلاً أو جليداً، نسمع أصوات الآخرين يتردد صداها في حقايقهم التي تتزاحم في ذاكرتنا. تقول يارا الغضبان في أحد حواراتها عن الرواية "لا حدود للآداب، يمكنني أن أقرر الدخول في رأس أرييل شارون دون أن يمغني أحد لأننا في الرواية نحن

أنا أرييل شارون" شروطها السردية على الجميع، بمن فيهم الوحش النائم في حالة نصف موت، وليعلو هنا صوت امرأة فلسطينية تمتلك قوة الخيال ومهارة الكتابة.

وتمزج يارا الغضبان في روايتها بين الواقع والخيال، وبين البعدين السياسي والإنساني لشخصية شارون، وتصور للقارئ على طريقها ما يدور في خاطر هذا الرجل الذي دخل في غيبوبة استمرت من عام 2006 إلى 2014.

وحول اختيار هذا العنوان لروايتها الذي يوحي بالتعاطف مع الزعيم الإسرائيلي الراحل، تجيب الكاتبة بأن شارون يوحى للفلسطينيين بكل ما هو سيء وبالعباد والشخصية في الرواية كانت صعبة بالنسبة إليها كما قالت.

وعندما دخل شارون في غيبوبة كانت الغضبان موجودة في فلسطين، وسمعت من الفلسطينيين أنه سيتعذب طويلاً في هذه المرحلة كما عذب

أهوالها وإنسانيتها في أضعف اللحظات. بين هدوء ظاهري للمستشفى وما يقابله في مكان ما من التاريخ من صخب حرب لا تتوقف انفجاراتها عن الحدوث، تضع الكتابة بدورها القارئ في عين العاصفة وهو يقف على حقيقة أن وراء كل إنسان، سواء كان بطلاً أو جليداً، نسمع أصوات الآخرين يتردد صداها في حقايقهم التي تتزاحم في ذاكرتنا. تقول يارا الغضبان في أحد حواراتها عن الرواية "لا حدود للآداب، يمكنني أن أقرر الدخول في رأس أرييل شارون دون أن يمغني أحد لأننا في الرواية نحن

أنا أرييل شارون" شروطها السردية على الجميع، بمن فيهم الوحش النائم في حالة نصف موت، وليعلو هنا صوت امرأة فلسطينية تمتلك قوة الخيال ومهارة الكتابة.

وتمزج يارا الغضبان في روايتها بين الواقع والخيال، وبين البعدين السياسي والإنساني لشخصية شارون، وتصور للقارئ على طريقها ما يدور في خاطر هذا الرجل الذي دخل في غيبوبة استمرت من عام 2006 إلى 2014.

وحول اختيار هذا العنوان لروايتها الذي يوحي بالتعاطف مع الزعيم الإسرائيلي الراحل، تجيب الكاتبة بأن شارون يوحى للفلسطينيين بكل ما هو سيء وبالعباد والشخصية في الرواية كانت صعبة بالنسبة إليها كما قالت.

وعندما دخل شارون في غيبوبة كانت الغضبان موجودة في فلسطين، وسمعت من الفلسطينيين أنه سيتعذب طويلاً في هذه المرحلة كما عذب

أهوالها وإنسانيتها في أضعف اللحظات. بين هدوء ظاهري للمستشفى وما يقابله في مكان ما من التاريخ من صخب حرب لا تتوقف انفجاراتها عن الحدوث، تضع الكتابة بدورها القارئ في عين العاصفة وهو يقف على حقيقة أن وراء كل إنسان، سواء كان بطلاً أو جليداً، نسمع أصوات الآخرين يتردد صداها في حقايقهم التي تتزاحم في ذاكرتنا. تقول يارا الغضبان في أحد حواراتها عن الرواية "لا حدود للآداب، يمكنني أن أقرر الدخول في رأس أرييل شارون دون أن يمغني أحد لأننا في الرواية نحن

أنا أرييل شارون" شروطها السردية على الجميع، بمن فيهم الوحش النائم في حالة نصف موت، وليعلو هنا صوت امرأة فلسطينية تمتلك قوة الخيال ومهارة الكتابة.

وتمزج يارا الغضبان في روايتها بين الواقع والخيال، وبين البعدين السياسي والإنساني لشخصية شارون، وتصور للقارئ على طريقها ما يدور في خاطر هذا الرجل الذي دخل في غيبوبة استمرت من عام 2006 إلى 2014.

وحول اختيار هذا العنوان لروايتها الذي يوحي بالتعاطف مع الزعيم الإسرائيلي الراحل، تجيب الكاتبة بأن شارون يوحى للفلسطينيين بكل ما هو سيء وبالعباد والشخصية في الرواية كانت صعبة بالنسبة إليها كما قالت.

وعندما دخل شارون في غيبوبة كانت الغضبان موجودة في فلسطين، وسمعت من الفلسطينيين أنه سيتعذب طويلاً في هذه المرحلة كما عذب

يارا الغضبان اختارت أن تحكي عن شارون على لسان أربع نساء هن والدته وزوجته والمرضة التي كانت ترعاه